



قراءة في كتاب (رسالتنا) للسيد الصدر (قده):

مجموعة من المقالات الافتتاحية التي كتبها السيد الصدر (قده): في مطلع
الستينيات لمجلة "الأضواء" الصادرة في النجف الأشرف.

الشرط الرئيسي لنهضة الأمة

المبدأ الصالح هو
الدين الاسلامي

وهو توفر **المبدأ الصالح** الذي يحدد للأمة أهدافها
وغاياتها، ويضع لها مثلها العليا، ويرسم اتجاهها في الحياة،
وذلك عبر ثلاثة عناصر متكاملة:

- ١ • وجود المبدأ الصحيح أولاً.
- ٢ • فهم الأمة له ثانياً.
- ٣ • إيمانها به ثالثاً.

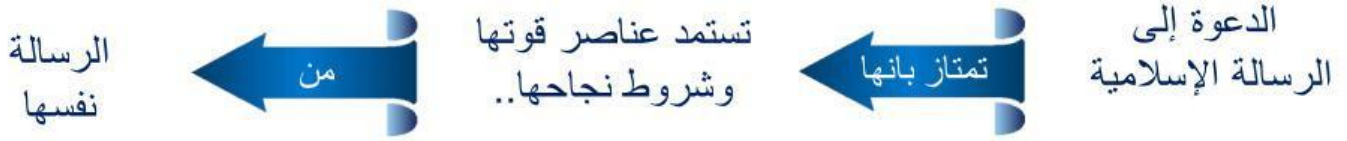


امتتنا الإسلامية لا تفقد من عناصر الشرط الأساسي
لنهضتها البناء إلا واحداً منها ، فالمبدأ موجود لديها
متمثل في دينها الإسلامي العظيم.

الامة الإسلامية كلها مجمعة على الإيمان بهذا المبدأ
وتقديسه، غير أن هذا الإيمان ضعيف في الغالب
ومحدود ، وأكبر سبب في ذلك عدم امتلاك الامة
بصورة عامة وغالبية العنصر الثالث

وهو فهم المبدأ ، فالامة تؤمن بالمبدأ الإسلامي إيماناً إجماعياً ولكنها لا تفهمه فهماً
إجماعياً ، وهذا هو التناقض الذي قد يبدو غريباً لأول وهلة، فكيف تؤمن الامة بالمبدأ ..
وهي لا تفهمه حق الفهم ؟

رسالتنا والدعاة



الكلام هنا عن الدعوة
لا عن الرسالة نفسها

إن الدعوة إلى الرسالة الإسلامية تمتاز على (أكثر الدعوات إلى مختلف الرسائل الأخرى) بأنها تستمد من الرسالة نفسها عناصر قوتها وشروط نجاحها ومقوماتها الروحية في مجال الجهاد والكفاح.

فالرسالة الإسلامية تمون الدعوة بهذه العناصر والشروط والمقومات بما لا يمكن لرسالة أخرى أن تقوم بذلك، ولهذا تضطر كثير من الدعوات أن تستجدي بعض تلك المقومات الروحية من جهات أخرى.



المقومات الروحية التي تحتاجها كل دعوة

المقومات الروحية التي تحتاجها كل دعوة ذات رسالة هي:
أولاً: **العقائدية** التي تسبغ على الرسالة طابعاً تقديسياً يقينيا، فبمقدار ما يرسخ هذا الطابع التقديسي اليقيني في نفوس الدعاة تزداد اندفاعاتهم وتتضاعف طاقاتهم.

فهى - العقيدة الإسلامية - مع كونها مذهباً للحياة والمجتمع تتمتع بالطابع الديني الذي يحيطها بالتقديس واليقين المطلق. هذا هو الفارق بينها وبين سائر مذاهب الحياة التي لا تصل في عقيدة أصحابها إلى درجة الدين، ولا تحظى بما يحظى به الدين لدى المتدينين من يقينية مطلقة، وفي ضوء هذا الفرق يتبين السر في ما نطالعه من صلابة عقائدية في حملة رسالة الدين المخلصين، وميوعة أو انخفاض عقائدي في حملة الرسائل الفكرية الأخرى بالرغم من نبوغهم وعبقريتهم، فليس عجيباً - مثلاً - أن نرى ماركس وهو منشئ مذهب ودعوة من أشهر مذاهب التاريخ ودعواته يقول: «إنني لست ماركسياً» بينما يقول داعية مسلم كعلي (عليه السلام): «لو كشف لي الغطاء لما ازددت يقيناً»، فإن عقيدة علي (عليه السلام) كانت ديناً، ومن طبيعة الدين أن يشع في نفوس رجاله المخلصين.. وأما الماركسية فلم تكن - على أبعد تقدير - إلا اجتهاداً علمياً خاصاً، ولذلك لم تستطع أن تجعل من ماركس نفسه ماركسياً.

في ضوء هذا الفرق يتبين
السرف في ما نطالعه من
صلافة عقائدية في حملة
رسالة الدين المخلصين،
وميوعة أو انخفاض
عقائدي في حملة الرسائل
الفكرية الأخرى

الماركسية اجتهدا علميا

لم تستطع أن تجعل من
ماركس نفسه ماركسيا

« إنني لست ماركسيا »

عقيدة علي (ع) دينا

الدين يشع في نفوس
رجاله المخلصين

« لو كشف لي الغطاء
لما ازددت يقينا »

وثانيا: **الأمل**، فإن الأمل هو بصيص النور الذي لا تستغني عنه كل الدعوات، وإذا فقدت الدعوة أملها في الفوز والنجاح فقدت وجودها ومعناها الحقيقي.

وأما الدعوة الى الرسالة الاسلامية فهي وان كانت تعتمد في آمالها على الظروف والملابسات ولكنها تعتمد قبل ذلك على الامل الذي تزوده بها الرسالة الاسلامية نفسها.

ولا أدل على أن الدعوة الاسلاميين يقتبسوا أملهم من الرسالة نفسها قبل أن يستوحوه من الظروف والاحداث ، ان الطليعة الاسلامية التي عاصرت محنة الاسلام في مكة وهو يومئذ وليد ضعيف قد تجمعت القوى على سحقه ، وتآلب الاعداء على خنقه ، كانت هذه الطليعة تهتز أملا بل يقينا بتهديم عروش الظلم - كل العروش - وانقاذ بلاد كسرى وقيصر من كسرى وقيصر

الدعوة الاسلاميين يقتبسوا أملهم من الرسالة نفسها قبل الظروف والاحداث

وثالثاً : **الدافع الذاتي** ، فإن الانسان العادي مهما تصل به دوافعه المثالية فإن للدافع الذاتي أثرا بليغا في حياته واندفاعه ، ومن هنا تنشأ المشكلة في كثير من الدعوات والرسالات ، لأن الرسالة تتطلب المثالية في الدوافع وروح التضحية والمفاداة ، والدعوة تتطلب شيئا من الدوافع الذاتية التي تزيد من حرارتها وقوتها واندفاعها .

ولأجل ذلك نجد أن الدعوة كثيرا ما يغرقون، بعد زمن قصير أو طويل من دعوتهم أو انتصارهم في الدوافع الذاتية وتخبو في نفوسهم تلك الدوافع المثالية بالتدريج لتحتل مكانها دوافع الذات لتصبح الرسالة اداة ومبررا لتلبية هذه الدوافع ، بعد أن فقدت في نفوس الدعوة دوافعها المثالية.

وأما الإسلام فهو يختلف عن بقية الرسائل في قدرته على تسخير الدوافع الانانية والمثالية معا لصالحه . فإن من طبيعة الرسالة الإسلامية اقناع المسلم بأن الاخلاص لهذه الرسالة والدعوة اليها والتضحية في سبيلها مكسب شخصي قبل ان يكون مكسبا مثاليا او اجتماعيا ، وربح لجزاء ونعيم لا حدود له قبل ان يكون عاطفة مثالية أو اندفاعا تحمسيا.

وهكذا تجند الرسالة الإسلامية جميع الدوافع الانسانية لصالحها ، وتجعل من الدوافع الانانية دوافع خيرة تواكب الدوافع المثالية في مقتضياتها ومتطلباتها . فالرسالة الإسلامية اذن ! رسالة عقيدة وإيمان رسالة أمل ورجاء .
ورسالة تجنيد لكل الدوافع والقوى الانسانية.

توضيح

الدوافع المثالية: هي المحركات الأخلاقية والإنسانية المجردة التي تدفع الإنسان نحو التضحية، العطاء، والعمل من أجل المبادئ العامة ومصلحة الجماعة، دون النظر إلى مكسب مادي أو مصلحة شخصية ضيقة.

الدافع الذاتي: هو غريزة حب الذات والانسداد إلى المصلحة الشخصية أو الأنانية التي يمتلكها الإنسان العادي بطبيعته.

وقد تناول السيد الصدر (قده) هذه الدوافع في مقارنة مرتكزا على:

• أصل المشكلة وأزمة الرسائل الأخرى: يرى السيد الصدر (قده) أن الإنسان العادي، مهما بلغت درجة سمو دوافعه المثالية (كالحماس العاطفي أو حب الخير العام)، فإن الدافع الذاتي (الأنانية وحب الذات) يظل ذا أثر بليغ في حياته، في كثير من الحركات والرسالات البشرية، تبدأ الدعوة بدوافع مثالية وروح تضحية عالية، ولكن بمرور الزمن (بعد فترة أو بعد تحقيق النصر)، تخبو هذه الدوافع المثالية بالتدريج لتحل محلها (دوافع الذات) فتتحول الرسالة والمبدأ إلى مجرد أداة لتلبية المصالح الشخصية للدعاة.

• عبقرية الحل الإسلامي: يتميز الإسلام في رؤية السيد الصدر (قده) بقدرته الفريدة على تسخير الدافع الذاتي (الأناني) والمثالية معا لصالحه.

• فالإسلام لا يطلب من الإنسان إلغاء حب ذاته (وهو أمر مستحيل ومخالف للفطرة)، بل يقوم بـ تطوير وتوسيع مفهوم المصلحة الذاتية؛ حيث يربط بين العمل المثالي والتضحية في الدنيا وبين الثواب والنعيم الآخروي، وبذلك يتحول العمل التضحي من أجل الرسالة إلى مصلحة ذاتية كبرى ومربحة للإنسان في رؤيته الكونية الشاملة.

• تحويل الأناني إلى مثالي: ينجح الإسلام في إقناع الإنسان بأن الإخلاص للرسالة والتضحية في سبيلها يمثلان مكسباً شخصياً وربحاً ذاتياً من خلال (نيل رضا الله، الجنة، والنعيم الآخروي الخالد).

وبهذا لا يلغي الإسلام دافع حب الذات، بل يوسع أفقه ليلتقي تماماً مع الدوافع المثالية؛ فتصبح مصلحة الإنسان الذاتية متطابقة مع متطلبات التضحية والمفاداة من أجل المبدأ.

الدعاة كثيرا ما يغرقون بعد زمن من دعوتهم أو انتصارهم في الدوافع الذاتية وتخبو في نفوسهم تلك الدوافع المثالية بالتدريج لتحتل مكانها دوافع الذات لتصبح الرسالة اداة ومبررا لتلبية هذه الدوافع ، بعد أن فقدت في نفوس الدعاة دوافعها المثالية

الدوافع المثالية: هي المحركات الأخلاقية والإنسانية التي تدفع الإنسان نحو التضحية، العطاء، والعمل للمصلحة العامة دون النظر إلى مكسب مادي أو مصلحة شخصية

الدافع الذاتي: هو غريزة حب الذات والمصلحة الشخصية أو الأنانية التي يمتلكها الإنسان العادي بطبيعته.

- **الدعاة** يرى السيد الصدر (قده) أن الإنسان العادي، مهما بلغت درجة سمو دوافعه المثالية (كالحماس العاطفي أو حب الخير العام)، فإن الدافع الذاتي (الأنانية وحب الذات) يظل ذا أثر بليغ في حياته، في كثير من الحركات والرسالات البشرية، تبدأ الدعوة بدوافع مثالية وروح تضحية عالية، ولكن بمرور الزمن (بعد فترة أو بعد تحقيق النصر)، تخبو هذه الدوافع المثالية بالتدريج لتحل محلها (دوافع الذات) فتتحول الرسالة والمبدأ إلى مجرد أداة لتلبية المصالح الشخصية للدعاة.
- عبقرية الحل الإسلامي: يتميز الإسلام في رؤية السيد الصدر (قده) بقدرته الفريدة على تسخير الدافع الذاتي (الأناني) والمثالية معاً لصالحه.
- فالإسلام لا يطلب من الإنسان إلغاء حب ذاته (وهو أمر مستحيل ومخالف للفطرة)، بل يقوم ب تطوير وتوسيع مفهوم المصلحة الذاتية؛ حيث يربط بين العمل المثالي والتضحية في الدنيا وبين الثواب والنعيم الأخروي، وبذلك يتحول العمل التضحي من أجل الرسالة إلى مصلحة ذاتية كبرى ومربحة للإنسان في رؤيته الكونية الشاملة.

رسالتنا يجب أن تكون قاعدة للعاطفة

بسم الله الرحمن الرحيم
« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ.. »

ألم يأن لهؤلاء الذين أضاء الإيمان عقولهم وتمكنت العقيدة من نفوسهم، وتبين لهم الحق متجسدا في أشرف رسالات السماء أن يفجر هذا الإيمان في نفوسهم موجا من العاطفة

بهذا يعلن الإسلام عن ضرورة ازدواج الفكر والعاطفة، واجتماع العقيدة وما تتطلبه من ألوان الانفعال والاحساس حتى تدب الحياة في العقيدة وتصبح مصدر حركة وقوة دفع

فالعواطف الإسلامية دائما نتيجة المفاهيم والأفكار الإسلامية وانعكاسات انفعالية لها.

كما وجدنا في الآية الكريمة كيف ربط بين الإيمان بالشرعية الحقة والخشوع لها، هذا الخشوع الذي هو لون من الانفعال العاطفي يتطلبه ذلك الإيمان ويصبح بدونه مجردا عن أية فعالية إيجابية.

لأن الإسلام لا يريد المفاهيم والأفكار بمعزل عن العمل والتطبيق، وإنما يريد لها قوى دافعة لبناء حياة كاملة في إطارها وضمن حدودها، ومن الواضح أن الأفكار والمفاهيم لا تصبح كذلك إلا حين تتخذ أشكالا عاطفية

فمفهوم المساواة - مثلا - الذي هو من أهم المفاهيم التي بشر بها الإسلام لا يمكن أن يثمر في الحقل العملي المثمر المطلوب ما لم تنبثق من هذا المفهوم عاطفة كعاطفة الاخوة عمل الإسلام لإيجادها في نفس المسلم وربطها بمفهومه الخاص عن المساواة العامة

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نرتب ما يلي:

أولاً: أن العقيدة كما يجب أن تكون قاعدة فكرية للشخصية الإسلامية وحجر الزاوية في تفكيرنا ومفاهيمنا طبقاً لما أوضحناه في العدد السابق كذلك يجب أن تكون قاعدة للعواطف التي تنشأ عليها الشخصية الإسلامية وتنمى فيها بمختلف الوسائل والأساليب، لأن العواطف التي يرتضيها الإسلام للمسلم هي العواطف الفكرية، أي العواطف التي تركز على مفاهيم فكرية معينة.

ثانياً: أن الطريقة العامة للإسلام لما كانت قائمة على مزج الفكرة بالعاطفة جاز للدعوة الإسلامية أن تمزج الفكرة بالعاطفة في تبشيرها ووسائلها

وأكثر من تلك العواطف السطحية خطراً العواطف التي تستمد جذورها النفسية من مفاهيم فكرية تتعارض مع مفاهيم الدعوة،

وعلى هذا فالسياسة العامة للدعوة الإسلامية تجاه العواطف الموجودة في الأمة هي استثمار ما كان منها إسلامياً لحساب الرسالة، وللدفع بها إلى الأمام في معركتها مع الكفر القائمة في كل مكان، والتعالي بالأمة عن العواطف المنخفضة، وكنس ما يوجد لديها من عواطف ذات طابع فكري معارض للإسلام، وتبديلها بعواطف صحيحة تدور في فلك الرسالة الإسلامية. وبكلمة واحدة: إن الدعوة تحاول أن تربط دائماً بين المفاهيم والعواطف وتفجر في نفسية الأمة العواطف التي يتوخاها الإسلام من تلك المفاهيم. ويقاس مقدار نجاحها في الحقل الفكري بمدى تغلغل مفاهيمها في فكر الأمة،

ويقاس مقدار نجاحها في الحقل الفكري بمدى تغلغل مفاهيمها في فكر الأمة، وفي المجال النفسي بمدى انسجام عواطف الأمة مع تلك المفاهيم، وبمقدار ما يولد الإيمان بالرسالة من عاطفة الحب لها والمفاداة في سبيلها والخشوع لها خشوعاً ينعكس في كل قول وعمل: «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

رسالتنا ومعالمها الرئيسية

يؤكد السيد الصدر أن لكل رسالة هوية تميزها، ويلخص أبرز خصائص ومميزات الرسالة الإسلامية في بعدين رئيسيين:

١. **النظرة الروحية الى الحياة والكون:** لا تعني الروحية انكار المعاني المادية للكون الإسلام، يعترف بالحقائق الروحية والمادية معاً، وانما يربط تلك الحقائق بسبب أعمق وهو الله تعالى.

٢. **الطريقة العقلية في التفكير،** إذ توجد طريقتان للتفكير: إحداهما:

الطريقة العقلية التي تعتبر العقل حاكماً نهائياً ومقياساً أساسياً.

والأخرى: هي **الطريقة التجريبية** التي تُقضي العقل، وتضع موضعه التجربة. والواقع أن كلاً من العقليين والتجريبيين وقع في خطأ كانت له أسوأ النتائج.

وكان نتاج ذلك أن تحرّر كثير من أنصار التجربة العملية، وخسر العقليون الثروة التجريبية الضخمة، كذلك خسر التجريبيون الثروة العقلية الروحية الجبارة.

وأما الإسلام فقد وقف من الفريقين الموقف الصحيح، وتلخّص في أن العقل يجب أن يؤخذ كمقياسٍ للأفكار، وحاكم فصلٍ نُلقى بين يديه المعلومات التي حصل عليها الإنسان عن طريق الملاحظة الحسية أو التجربة العملية، لينظّمها ويستنتج منها ما تنتج من حقائق: ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...)). فليس السير في الأرض وما يشير إليه من ألوان التأمل التجريبي في حقائقها مغنياً عن العقل، وليس العقل مغنياً عن السير في الأرض ودراسة حقائقها بالطرق الحسية والتجريبية.

٣. **المقياس العملي العام** وهو **رضا الله تعالى** بأن يكيّف حياته طبقاً لرضاه جل شأنه: ((وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)).

رسالتنا يجب أن تكون قاعدة

إن للحضارة الغربية بأفكارها ومفاهيمها وكيانها الثقافي عامة قاعدة فكرية تستند إليها وهي « الديمقراطية » ، أو بالأحرى الحريات الرئيسية في المجالات الفكرية والدينية والسياسية والاقتصادية

كذلك الأمر تماما فيما يتصل بالحضارة الماركسية التي تنافس الحضارة الرأسمالية في كل الميادين، فإن رسالتها الفكرية التي تدعو إلى نظرة مادية معينة

تجاه الكون والحياة والمجتمع والتاريخ هي القطب المركزي الذي ينعكس إلى حد قصير أو طويل في كل المفاهيم والأفكار الحضارية التي تتبناها الماركسية ويؤمن بها مفكروها.



ير أن العقيدة الدينية لما كانت تعيش اليوم في نفوس كثير من الناس مجردة عن وعي حقيقي يسند لها نجد أن جمهرة من المسلمين لا يعون المكان الطبيعي الذي يجب أن تحتله رسالتنا الفكرية الأصلية من التفكير العام.

